الحياة الأدبية في فلسطين بين الانتفاضتين
دراسة فنية في اللفظ و المعنى

منى سعيد عبد النبي الرنتيسي (*)

الملخص:

يتناول هذا البحث بالدرس و التحليل ، اللفظ و المعنى في الشعر الفلسطيني بين الانتفاضتين ، للوقوف بكل وضوح و روية على : القيمة الإيحائية للأصوات بتعريف أدبي كامل للصوت الذي لا يعني أي شيء بدون تكاتفه المباشر و الواضح مع غيره من الأصوات ، و كذلك الحروف التي تسعى متكاتفة للوصول إلى الهدف المنشود من وراء تلك الكتابات أما عن الأمر الثاني في ثنايا هذا البحث فقد تعرضت الباحثة في حديثها إلى بيان القيمة الإيحائية للألفاظ التي تعتبر بدورها مرتعاً للطاقات الإيحائية الخاصة ، حيث بإمكان الشاعر الفذ المتمكن من تلك الألفاظ أن يبدع في كتاباته الشعرية ، و التي بحسن انتقائه هو و اختياره الصحيح للألفاظ ، يقدر على إبراز ملامح القوة و التحدي في شعره ، و كذلك بحسن اختياره يبرز معاني الأسى و الحنين الجارف إلى كل ما هو يتشوق إلى رؤياه ، إضافة إلى ذلك أن الشاعر الفلسطيني بسيطرته على تلك الملكة اللفظية يقدر على إظهار إبداعه من خلال ألفاظ مختلفة و متنوعة من البيئة الفلسطينية .

(*) ماجستيرالأدب والنقد – مدرس بوزارة التربية والتعليم الفلسطينية – قطاع غزة – فلسطين

Literary life in Palestine between two uprisings Technical study in pronunciation and meanin Search provided by researcher

Mona Said Abdul Nabi al-Rantisi

Abstract

this paper elaborately analyses , pronunciation and meaning in poetry between the Palestinian uprisings .

to stand very clearly and deliberately on value suggestive sounds definition of literary full of sound that does not mean anything without direct and obviously with other sounds , as well as letters seeking shoulder to shoulder to reach the desired goal behind these writings as for the second thing in the folds of this research has been a researcher in her speech to suggestive value of words , which in turn is considered a hotbed of the energies of suggestive own , where the poet feat skilled team of those words can innovate in his writing poetry , and that good prseslected statement is and the correct choice of words , it is estimated to highlight the features of strength and challenge in his poetry , as well as good choice the meanings of grief and nostalgia highlights to all that is eager to his vision , in addition to control of the Palestinian poet that queen verbal able to show his creativity through different words and variety of the Palestinian environment .

- اللفظ و المعنى :

اللغة وسيلة التعبير عن الحياة ، و إرادة الشاعر في خلق عوالمه الشعرية التي تتأثر بحركة الفكر و الأحداث التي تمر بها الشعوب ، و لهذا فهي ليست مجرد ألفاظ تحصى ؛ بل هي عالم متفرد حياً و يتحرك و ينمو ، ينكمش و يضيف و يستفيد [1] ، و يرى معظم النقاد ، نقاد الشعر ، أن اللغة هي بؤرة الاهتمام النقدي ، اللغة تحدد شخصية الشعر و الأصوات التي يتبناها الشاعر . فالشعر يختلف عن غيره من التعابير و ذلك في قدرته على خلق سياقه الخاص به للتحدث مع أي صوت . فالشعر يستطيع انتقاء ألفاظه من أي أسلوب لغوي ، سواء أكان أدبياً أم غير ذلك ، و حين تستعمل الألفاظ في القصيدة / الشعر فإنها تستعمل لتحديد المواقف أو بعض وجهات النظر أكثر من استعمال تلك الألفاظ في اللغة اليومية أي إنها في اللغة الشعرية أكثر دقة و تحديداً [2] ، و " تعد لغة الشعر أعظم عنصر في صياغة القصيدة في الآداب الإنسانية جميعها ، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري ، و من نباتها تبنى المعمارات الفنية التي تتآزر على إبداعها مجموعة عناصر نفسية و جمالية معقدة . و هي كائن حي في أعماق الوجود الفني للشاعر تتجاوب معه في كل أنّه من أناته ، تذوب فيه حين يغلي ، و يخفق قلبه حين يشتاق ، فتسري في عروقه ، فيخرجها شهداً كما تفعل النحلة في آخر عمليات امتصاصها للزهر بعد كدٍ طويل مضن ، و رهق يتصبب معه العرق . إنه يضغط في ثناياها كل ما تكتنز به نفسه من ثراء فكري ، و خصوبة عاطفية. " [3] ، و يمكن القول " إن اللغة هي المادة الأولية للأدب ، شعراً كان أم نثراً ، و إنّ استخدام الحياة اليومية للغة و استخدام العلم لها يختلف اختلافاً أساسياً عن استخدام الأدب لها . فبينما تكون اللغة في الحياة اليومية لغة اصطلاحية تكتفي بمجرد نقل الفكرة أو الإشارة إلى الصورة المادية أو الواقعية للشيء ، فإنها في الشعر خلق فني تتحول فيه اللغة إلى رموز تصور حالة الأديب الباطنية ، و تعبر عن تجربته فهي ليست هنا وسيلة للتخاطب و عملة شائعة متداولة ، و إنما هي لغة مشبعة بالتجربة قادرة بحكم صياغتها أن تحمل رؤية الشاعر للوجود عن طريق عمل فني متماسك موحد " [4] .

إن اللفظ و المعنى إذن يمثلان معادلة العلاقة بين طرفيها جدلية كل منهما يأخذ من الثاني بقدر ما يعطيه ، و لا يستطيع أي منهما أن يعيش بمفرده . و هي علاقة على مستوى من المتانة و القوة لا تبلغها إلا علاقة الروح بالجسد و الجسد بالروح [5] ، إن أبرز ما يميز هذه اللغة هو ثراؤها بالطاقات التعبيرية ، و اكتنازها بالإيحاءات اللامحدودة ، فقد كان الهم الأول للشاعر في كل العصور هو أن يعيد للغة طاقاتها الأولى ، و قدراتها الخارقة على التأثير التي كانت لها في عصورها الأسطورية الأولى قبل أن تبتذل و تتحول إلى لغة عملية نفعية تخضع لمنطق العقل و تحديداته الصارمة ، و تسعى إلى نوع من التحدد و الموضوعية بحيث لا تعبر إلا عن كل ما هو واضح و محدد [6] .

1- القيمة الإيحائية للأصوات :

إن الصوت الواحد كما هو معروف أدبياً ، لا يعني شيئاً لوحده دون تكاتفه مع أصوات و حروف أخرى تخدم نفس الاتجاه ، مما يبعث على بث جوانب القوة في القصيدة ذات الحروف القوية ، و يعمل على بث جوانب الحزن و التأثر في القصيدة ذات الحروف الحزينة الممتلئة بالشكوى و الألم و مثال ذلك قول الشاعر[7]:

غدا تشرين
منفى صوتي المملوء أدعية
و أشواقاً بحجم الأرجوان
و قل من يدري
بأني ذاهب و الريح
نزرع في صفوف الغيم أودية
تفيق على نسيم الكستناء
و تنتهي في ذكريات الميتين
عن البلاد و كيف لم تعد الحياة سوى
انتظار مؤسف لجنودنا
فوق السروج المطمئنة

في السطور السابقة تكاثفت الحروف الشجية التي تحاكي نفسية الشاعر ، و تصفها للقارئ و الحروف هي كالآتي (الغين ، الشين ، التاء ، الذال ، الراء) ، فتلك الحروف الرائعة المعبرة تكاثفت ، ومنحت جو النص تكاثفاً عميقاً بما وصف من نفسية الشاعر

المتألمة لما يحدث بالواقع العربي ، و خرجت الأصوات بنغم حزين ممتلئ بالأشجان و الابتهالات و الأدعية ، و يبقى الغيم في سطور الشاعر يعبر عن ضبابية الموقف و تنساب الأصوات كأنها أودية من التساؤلات الجريحة و العميقة عن أمل العودة البعيد .

و تتمعق النفسية الصعبة الشجية لدى الشاعر علاء الغول بأصوات جديدة ، تتكاتف مبينة الفزع و عدم الاطمئنان لما يحدث بأصوات قوية في جانب الخوف ، و الحزن ، و عدم الارتياح و ذلك في قول الشاعر الفلسطيني [8] :

يهبط في جحور
البوم يفزعها
و يقتربُ النعيبُ من الجنازةِ
أي أحلام تقاسمني
فضاء الأمنيات ؟

حيث اجتمع في القصيدة السابقة كل من حرف (الباء ، و الزاي ، و الجيم) و التي أعطت المقطوعة الشعرية صرخة مدوية تنبه القارئ ، و تلفت نظره لما حصل و يحصل للبلاد المتروكة ، و التي تركها أهلها عنوة و غصباً ، و هجروا منها و صارت خلفهم خراباً .

و يكتب الشاعر سليمان دغش قصيدته (أنت مكلف بالعواصف) فيقول فيها[9] :

قلبي
هو الرشاش
و الجسد احترق
هذا هو الميلاد
إنّ الفجرَ
يولد
حين
تشتعل
الشفق !!
قلبي
هو الرشاش
و الجسد احترق

فالأصوات في القصيدة السابقة توحي بالقوة و الصمود و التحدي و الثبات ؛ الذي لا مثيل له ، فاحتراق الجسد في نظر الشاعر هو ميلاد الفجر الحقيقي ، و الحروف ذات

المبعث القوي هي كالآتي : (القاف ، الجيم ، الدال ، و تكرار حرف الشين في كلمة الرشاش) ، فالأصوات السابقة جميعها صنعت للقصيدة درعاً قوياً لا تؤثر فيه نائبات الدهر .

2- القيمة الإيحائية للألفاظ :

تمتلك الألفاظ المفردة طاقات إيحائية خاصة ، يمكن إذا ما فطن إليها الشاعر و نجح في استغلالها أن تقوي من إيحاء الوسائل و الأدوات الشعرية الأخرى و تثريه[10] ، و في العصر الحديث امتلك الشعر الفلسطيني طاقات إيحائية عميقة قوية الدلالة ، فالواقع ملأ قريحتهم بالألفاظ و العبارات المختلفة ، و تتابع الألفاظ تترى في الشعر الفلسطيني قوية حرة معبرة عن مكنون الشعراء العميق فانتقاء الشاعر للفظ المعبر يقوي من جدارية النص و يمنحه بعداً عميقاً في لفت انتباه السامع و شد نظر القارئ ، و تتكاتف الألفاظ القوية صاحبة الشرف الأسمى في التأثير البليغ على نفسية المتلقي في مقطوعة من قصيدة (شذرات و زنابق) للشاعر خالد نصره يقول فيها [11] :

حيثما يسقط شبلٌ .. ســــــــــــوف تنمو
زنبقهْ ..
في ضمير الأرض تحــــــــــيا ، ثم تزهو مشرقهْ
تمنح الأجيال بأساً .. و كنــــــــــــوزاً
من ثقه ..
... أي شعبٍ كبرياءُ الــــبذل ... زانت مفرقهْ
؟

حيث أعيا كل خصـــــــــــــــــم ، ودّ يلوي
مرفقهْ !

فالكلمات في القصيدة السابقة اتحدت كصف واحد من التحدي و القوة ، و هي كالآتي (تنمو زنبقة ، ضمير الأرض ، مشرقه ، بأساً ، ثقه ، كبرياء البذل ، أعيا ، خصم) ، تلك الكلمات الرائعة منظومة من التحدي الخارق لكل سبل الاعتداء و الغطرسة .

و في قصيدة تتحدث عن (بطولة مقاوم) للشاعر فخري صرداوي تلتحم الألفاظ أقوى من الحديد الصلب في وجه أعتى آلات القوة فيقول [12] :

زلزلت الأرض و لم تبخل
حملت الروح على كفك
ألقيتها في قلب المرجل
نازلت الهول و جالدت
و رغم البطش
قهرت القهر
غالبت الموت
و صابرت
أطعمت السجن شباب العمر
واجهت السجن فلم ترهب
علمّت الدنيا معاني الصبر
أرويت الأرض بنهر الدم
و لم تتعب

فالقصيدة السابقة جمعت على الغالب معظم الألفاظ القوية ، و تمثيلاً على ذلك (زلزلت ، المرجل ، جالدت ، البطش ، القهر ، الدّم) .

و في قصيدة أخرى للشاعر العف تتكاتف ألفاظ الأسى و الحزن الشديد على ما آل إليه الواقع المعاش ، و ألفاظ الأسى هي (الشكوى ، الحزن ، غضّ ، الدمع ، الحزينة ، تعانق ، يخنقه ، أنات ، الأسى) فيقول [13] :

عذراً إليكْ
الدمع غاض بمقلتيكْ
فتجمدت فيك الينابيع الحزينة
و العيون الجارية
و المزن ما عادت تعانق راحتيك
و الريحُ يخنقه الزفيرُ
كما الأسير يبث أنات الأسى
و يفيض بالشكوى إليكْ
و الحزن غضّ من الضياء

و توجد ألفاظ فلسطينية وظفها الشعراء في قصائدهم ، فالشاعر يريد لقصائده أن تكون أكثر ايحائية و تقريب المعنى للمتلقي ، فالشاعر سميح فرج وظف أسماء الأماكن و المدن الفلسطينية في قصيدته فذكر المدن التالية : (بلاطة ،

رفح ، دير البلح ، باب خان الزيت) و لكل له دلالته [14] :

هذي بلادي
خرج المقنع من (بلاطة)
خرج المقنع من (رفح)
من أرض هذي الأرض
من قهر هذا القهر .. يا (دير البلح)
من (باب خان الزيت)
و من الدفاتر و انتشر

و من الالفاظ التي تنسب لفلسطين ، نبات الخبيزة و هي أكلة شعبية يأكلها الفلسطينيون، تنمو في حقولهم و مزارعهم ، فالشاعر يريد أن يظهر ارتباطه و حبه لوطنه فلسطين عبر ذكر نبات الخبيزة و كلمة خوابِ و هي كلمة فلسطينية استخدمها أجدادنا في حياتهم اليومية و هي تعني المكان الذي يخبأ فيه الشيء الثمين و كلمة مصاطب و هي المكان المرتفع الذي يجلس عليه الناس في قوله[15]:

كانت زينبُ
تحفظ لون المنديل خرجنا
و تبقى يوماً
و مصاطب تلك " المسمية "
بحة صوت الشيخ ... الحرّاث المتعبْ
و شواطئ شعر المتنبي
و خوابٍ تركت أمي أغنية فيها
لتعود إليها
تواً
أيخون لساني طعم " الخبيزة " قالتْ
و يهون علينا

و من الالفاظ الفلسطينية كلمات (اللوز ، الزيتون ، التين) بقول الشاعر عبد الناصر صالح [16] :

اقتلوني
لستُ أرضى عن تلال اللوز
و الزيتون و التين استعاضة
و اسلبوا أرضي إن شئتم

و يوظف الشاعر جهشان لفظ (الحطة ، الدالية ، الدوالي ، الجرمق) في قوله [17] :

يا وطنْ
كان جدي يفرشُ الحطة
تحت الداليه
و ينامْ
و الأزاهيرُ نشاوى و الغمامْ
يا زمنْ
قمة الجرمق كانت عاليه

و الدوالي حانيه
ثمّ مال الدهر غدراً
يا وطنْ
و امتحنْ ؟!!

و نظراً للأحداث الجسام التي مرت فيها فلسطين إبان الانتفاضتين ، طبع الشعر بطابع الانتفاضة فكانت الألفاظ تستقى من مجريات الانتفاضة و أحداثها ، و تصوير لمعارك الصبية مع الجيش الإسرائيلي ، فالشاعر وسيم الكردي يصور مشاهد رمي الحجارة بكلمات واقعية و هي : (حجارته ، الأسفلت ، متراس ، إطارات ، بيارق ، أخباء ، هراوات ، بنادق) يقول الشاعر (18) :

نهض الفتى
نهضت حجارته
محملة على جسد الهواء
تصب في جسد الجنود
و في حرب الأفعوان
ها كرنفال الرمي
يطلق شارة البدء الندية
و ابتداء المهرجان
في أول الإسفلت
متراسٌ ، إطاراتٌ ، بيارق
في آخر الاسفلت
أخباءٌ ، هراواتٌ ، بنادق

و من مفردات البيئة الفلسطينية المقاومة إبان الانتفاضتين (الرصاص ، الراجمات ، بنادق) قول الشاعر الفلسطيني كمال غنيم [19] :

عادلت حبك بالرصاص فسامحي قلب المحب الهائج المتضرم !
طاشت موازين الجنون فقلتها : (الله أكبر من حشود المجرم!)
(يا آسرا ليلى و ليلى عشقنـــــــــا أبشر بقصف الراجمات المؤلم)
(هي لوثة قد انتجت (ندماً) لكم و بنـــــــــادق لا تكتفي بترنم !!)

و من مفردات البيئة الفلسطينية أسماء لوسائل القتل الإسرائيلي ضد الفلسطيني الأعزل، كـــــ (الأباتشي ، الكوبرا ، اللاو ، و الدمدم) يقول الشاعر خضر أبو جحجوح[20] :

جسدي غربال رصاصْ
و عظامي ترقص سمبا مع أشلائي في الدم
ما زلت صبياً أتحدى
و ضحاياي الأباتشي و الكوبرا
و اللاو
و الدمدمُ
شاو

و من الألفاظ التي ضمنها الشعراء قصائدهم ؛ الألفاظ العبرية بحد ذاتها

مخزون لغوي استعماري تفاعل معها الفلسطيني و عايشها فارتدت على حياته سلباً ، فمن الألفاظ اسم جنرال عسكري سفك دماء الفلسطينيين في فلسطين و لبنان ، بل و دماء العرب و هو لفظ (شارون) القائد العسكري الإسرائيلي السفاح يقول الشاعر وجيه سالم متحدياً هذا الشارون [21] :

شارون اقصف شعباً كنعانياً جباراً لا يركع ،
و تلذذ و تلمظ بدم الأطفال يُروي أرض فلسطين و تمتّع ،،،
و الأرضُ الخصبة يملكها هذا الشعب العربي الوادعُ
دمّرها واحصد سنبلها بالصاروخ و بالمدفع ،،،

و من العبرية المفردات التالية :(شتير بمعنى شرطي – ممزير بمعنى قذر – هولو رتسي لدبير بمعنى لا يريد أن يتكلم) في سطور الشاعر سميح فرج [22]:

من وحل هذا السجن أنهضُ يا (شُتير)
من قهر هذا القبو اصنع نجمتي
.....
هذا ابن كلب
رطنِ المحققُ
(ابنُ الزنى) .. (ممزير)
ما نخ هذا ...
ما عصفروه
(هو لو رتسي لدبير)

و لم ينس الشعراء مسميات ألوية الجيش الإسرائيلي (جولاني – جفعاتي) و أسماء مجنديه كـــــ (ليفي) [23] :

" **جولاني** " ... **أهلاً**
" **جفعاتي** " .....
و تعج الزغرودة " مريم "
و يصوب " ليفي "
نحو العصفورة حتى .....

و ذاق الشعراء مرارة الأسر فأفردوا فيها كلمات خاصة بالسجن كلفظة (الشيك) بمعنى السياج المحيط بالأسير كقول الشاعر المتوكل طه [24] :

فالقضبان و المنفى و هذا الرملُ
و الأبراج " و الشيك " الطويل المحكم المجدولُ
يمنعني

و قوله يصف حياة الأسر في السجون الإسرائيلية بكلمات عبرية(المجاشات – مشاتيح) [25] :

و قليلٌ من طعام في " المجاشات "
و لا ماء هناك ،
و " مشاتيح " ترامت لغسيل الموت كانت ،
و " البطاطين " غبار و ذباب

ولم ينس الشعراء التراث فنهلوا من معينه الذي لا ينضب ، و سطروا

قصائدهم برائحة الماضي السحيق ، فوظفوا الألفـــــــــــــاظ المعبرة فقصة بيدبا و دبشليم في كليلة و دمنة و قصة قرمط كلها ، ضمنها شعر الدكتور عبد الخالق العف في قوله [26] :

.... و بعد ألف عامْ
يا سادتي الكرامْ
يعود قرمط الحاخامْ
يبكي على البراق هيكل السراب
بدمعة غصّت بها الرياحُ و التراب .
يعود " بيدبا " لينثر الدموع
في بلاط " دبشليم "

و يسرد الشاعر خضر أبو جحجوح أسماء عربية أصيلة وردت في تاريخ الجاهلية كـــــ(عروة – الأزد – سليك – الشنفرى) في قوله [27] :

للربع رائحة القرنفل يا سليكُ ، فلا تقل لي : أين ولى الشنفرى ؟
فالأزد تعرف أنه في البيد يطلب رأسها .. و الثأر يغلي في دمه
و أنا ارتجلت مسافتي في البيد ابحث عن لهاث الهاربين ، و اقتفي آثارهم
و قد استباحوا حيّ أحبابي و فروا ، لم يكن لزجاج سياراتهم سترُ
ياقاتهم في كفّ خولة قبل أن تتقهقرا
أو تقهرا
فقد امتطت أشواقها ، و مضت تطارد جمعهم
و النصل في أحشائها يدمي الفؤاد و يحتسي صرخاتها الحرّى
و رصاصهم ملأ الأزقة يا بن سُلكة و الذرا ؟

- هوامش البحث :

(1) د . أحمدشاكرغضيب : أثرالإسلام في بناءالقصيدة العربية،دارالضياء للنشرالأردن 2001 ،ص 113
(2) د . أسماءبنت عبدالرحمن : اللغة والنقد المعاصر،تحولات الخطاب النقدي المعاصر،قسم اللغة العربية – جامعة اليرموك عالم الكتب الحديث الأردن 2007 ص 609 .
(3) د . عدنان حسين قاسم : لغة الشعرالعربي، مكتبة الفلاح للنشرالكويت ط1 1989 ص 15
(4) د . محمد زكي العشماوي : قضايا النقدوالبلاغة،دارالكاتب العربي للنشرالإسكندرية 1967 ص 42 .
(5) محمدعبدالعظيم:في ماهية النص الشعري،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشربيروت 1994 ،ص 131
(6) د . علي عشري زايد : عن بناءالقصيدة العربية الحديثة،ص 43 .
(7) علاء نعيم الغول : حكاية من الشارع الخلفي (شعر) اتحادالكتاب الفلسطينين 2005 ص 5 .
(8) السابق : ص 8 – 9 .
(9) سليمان دغش : جوازالحجر (قصائد) شباط 1991 ،ص 13 .
(10) د . علي عشري زايد : عن بناءالقصيدة العربيةالحديثة،ص 51 – 52 .
(11) خالد نصره : زنابق شعر منسية (شعر) رام الله غرة تشـــــــرين الأول 1992 ص 6 .
(12) فخري صرداوي : عيبال والطوفان،ص 95 – 96 .
(13) د . عبدالخالق العف : شدوالجراح،ص 23 .
(14) سميح فرج : المقنع،ص 63 .
(15) سميح فرج : احتفال،ص 75 .
(16) عبدالناصرصالح : المجد ينحني امامكم ص 108 .
(17) شكيب جهشان : الآثارالشعرية الكاملة (1) ،دارراية للنشر – حيفا 2013 ص 156.
(18) وسيم الكردي : وازدان بحرك بالحناء،ص 36 –37 .
(19) د . كمال أحمدغنيم : جرح لاتغسله الدموع،ص 51 .
(20) خضرمحمد أبوجحجوح : أعط العصفورة سنبلة الحب وواصل (شعر) مكتبة اليازجي غزة ط1 2007 ص 48 .
(21) د . وجيه سالم : الرمز،ص 14 .
(22) سميح فرج : المقنع،ص 11 .
(23) السابق : ص 47 .
(24) المتوكل طه : فضاءالأغنيات،ص 107 .
(25) د . المتوكل طه : رغوةالسؤال،ص 74 .
(26) د . عبدالخالق العف : شدوالجراح،ص 34 .
(27) د . كمال أحمدغنيم : الأدبالعربي في فلسطين 2011 ،ص 65 .